الصحيح المعتبر

من تفسير

جـــزء (عـمّ)

سورة النازعات

إعداد:
لقمان أمين شاربا زيري

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النازعات

بين يدي السورة

سورة النّازعات مكية[1] بلا خلاف، وهي ست وأربعون آية[2].

مناسبتها لما قبلها :

لما ذكر سبحانه يوم يقوم الروح ويتمنى الكافر العدم، أقسم أول هذه السورة بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما يتأثر عنه من البعث، وساقه على وجه التأكيد بالقسم لأنهم به مكذبون، فقال تعالى: ﴿ والنازعات ﴾[3].

* * *

١) البغوي، وابن كثير، والدر المنثور، وقال: « أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة النازعات بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله ».

٢) الدر المنثور.

٣) نظم الدرر للبقاعي(ت ٨٨٥هـ).

الدرس الأول

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾

أقسم ربّنا ﷻ ، فقال: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾، اختلف علماء التفسير فيها: ما هنّ ؟ وما تنزع ؟ وما تنشط ؟ وما تسبح ؟ وما تسبق ؟ على أقوال، منها:

الأول: هي الملائكة:

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ﴾[1]، حين تنزع أرواح الكفار بعنف[2]، فقال:﴿ غَرۡقٗا ﴾ أي: إغراقا يقال: أغرق في النزع إذا بلغ الغاية[3]، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد[4] حتى ينتهي إلى النصل[5].

---

(١) الطبري، بسنده الصحيح عن مسروق. وابن كثير: وقال: « قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسدي: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾ الملائكة ».

٢) ابن كثير.

٣) السمعاني.

٤) البغوي.

٥) البحر المحيط.

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾ أي: الملائكة حين تنشِط ـ أي: تأخذ ـ نفس المؤمن فتقبضُها بسهولة وكأنما حلته من نشاط، كما يُنشَط ـ أي: يحل برفق ـ العقال من يد البعير إذا حُلّ عنه[1].

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾[2]:

- يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها أسلا رفيقا، ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به.
- أو ينزلون من السماء مسرعين[3].
- سباحتها في الأبدان لإخراج الروح كما يسبح الغواص في البحر لإخراج شيء منه[4].

---

١) الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والبغوي، وابن كثير.

٢) الطبري. وقال: « فإن مجاهدا كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سبَّاحة، كما يقال للفرس الجواد: إنه لسابح إذا مرّ يُسرِعُ ». وابن كثير، وقال: « فقال ابن مسعود: هي الملائكة. وروي عن علي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح مثل ذلك ».

٣) السمعاني، وقال: « وسبحها سيرها بين السماء والأرض ». والبغوي. وقال: « كالفرس الجواد يقال له سابح إذا أسرع في جريه ».

٤) فتح القدير.

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾[1]. وسبقها فيه أقوال:

- مبادرتها إلى الأعمال الصالحة والخيرات، والإيمان والتصديق به.
- المسابقة إلى تبليغ الوحي قبل استراق الشياطين السمع[2].
- المسابقة بأرواح المؤمنين إلى الجنة[3].

﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾، يدبرون ما أمروا به من أمر الله[4]. قال السمعاني: « هي الملائكة في قول الجميع »[5].

---

١) الطبري. وقال: « حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا) قال: الملائكة ». وابن كثير: وقال: « روي عن علي، ومسروق، ومجاهد، وأبي صالح، والحسن البصري: يعني الملائكة ».

٢) السمعاني.

٣) البغوي عن مقاتل.

٤) الطبري، نقله بسنده عن قتادة. والصحيح المسبور، وقال: « أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ ﴾: الملائكة ».

وقال السمعاني: « فمعنى التدبير من الملائكة هو ما جعل الله إليها من الأمور. قال عبد الرحمن بن سابط: فإلى جبريل الجنود، وإلى ميكائيل القطر والنبات، وإلى عزرائيل قبض الأرواح، وإلى إسرافيل إنزال ».

٥) السمعاني، وقال: « إلا ما روى في رواية غريبة برواية خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل: أنها النجوم ».

الثاني: هي الموت:

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ﴾ حين ينزع نفس الإنسان. ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ ﴾ حين يَنشِطها[1].

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ ﴾ حين يسبح في نفس ابن آدم[2]. ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ حين يَسْبقُ الإنسانَ[3].

الثالث: هي النجوم:

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ﴾ حين تنزع من أفق إلى أفق، ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ ﴾ وهي تنشط كذلك[4]. والمراد:

وقال ابن كثير: « قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة، زاد الحسن: تدبر الأمر من السماء إلى الأرض ».

وقال الشوكاني: « وكذا المراد بالناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، يعني: الملائكة والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي، كما في قول الشاعر: **إلى الملك القرم، وابن الهمام، *** وليث الكتيبة في المزدحم**

وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ».

(١) الطبري، بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾ قال: الموت. والسمعاني، والبغوي.

(٢) الطبري، بسنده عن مجاهد ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴾ قال: الموت. وابن كثير.

٣) الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ قال: الموت. والصحيح المسبور.

(٤) الطبري، بسنده عن الحسن وقتادة: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾ قالا: النجوم. والبغوي، وابن كثير.

- سرعة سيرها.
- رجوعها من المغرب إلى مطالعها، كما قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾[1].

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ ﴾ تَسبَح في فلكها[2]. ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ يسبق بعضها بعضا في السير[3].

وقد فسر العلماء كل من (النازعات) و(الناشطات) بمعنيين آخرين:

أ ـ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ القسيّ: تنزع بالسهم[4] في القتال[5].

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾ هي الأوهاق(البقر الوحش) تنشط من بلدة إلى بلدة[6].

---

١) السمعاني. والآيتان (١٥ ، ١٦) من سورة التكوير.

٢) الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴾ قال: « هي النجوم ». والسمعاني. والبغوي، قال: « وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، قال الله تعالى: ﴿ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ ». والآية من سورة الأنبياء، (٣٣). وابن كثير.

٣) الطبري بسنده الحسن عن قتادة ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ قال: « هي النجوم ». والسمعاني، والبغوي، وابن كثير، والصحيح المسبور.

(٤) الطبري، عن عطاء: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾ قال: القسي.

٥) ابن كثير.

(٦) الطبري، عن عطاء: ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾ قال: الأوهاق.

ب ـ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ النفس حين تُنزع وتغرق في الصدر[١].

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾:

- نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت[٢].
- تنشط، أي: تحل من قيد الجسد[٣].
- تنشط، أي: تجذب من القدمين[٤].

قال الطبري: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقا، ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكلّ نازعة غرقا، فداخلة في قسمه، ملكا كان أو موتا، أو نجما، أو قوسا، أو غير ذلك». وقريبا منه قال أيضا في الناشطات.

ورجح الإمام ابن كثير أن المقصود بها (الملائكة)، بقوله: « والصحيح الأول، وعليه الأكثرون ».

---

(١) الطبري، عن السدي: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾ قال: النفس حين تَغرق في الصدر.

٢) البغوي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣) ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٤) البغوي، عن السُّدِّي.

مسألة: اختلف العلماء في (المقسم به)، و(المقسم عليه)، كالآتي:

الأول: المقسم به، فيه قولان:

أ) إن الله ﷻ أقسم بهذه الأشياء(النازعات، الناشطات، السابحات ...)، ولله أن يقسم من خلقه بما شاء.

ب) إن الله ﷻ أقسم بنفسه، ولكن على تقدير كلمة (ربّ) مضمر، أي: معناه وربّ النازعات ... الخ.

الثاني: المقسم عليه، فيه قولان أيضا:

١ـ أنه محذوف، والمعنى: لتبعثن ولتحاسبن، وما أشبه ذلك. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾.

٢ـ أنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾[1].

رجح الإمام الطبري الأول بقوله: « والصواب من القول في ذلك عندنا، أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغني عنه بدلالة الكلام، فترك ذكره »[2].

* * *

---

١) السمعاني.

٢) الطبري.

الدرس الثاني

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ فيه أقوال:

١ـ أي: ترجف الأرض والجبال للنفخة الأولى[١]. وهي التي تُميت كل شيء بإذن الله تعالى، كما قال ﷻ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(الزمر: ٦٨).

﴿ تَتۡبَعُهَا ﴾ أي: تتبع الرجفةَ الأولى ﴿ ٱلرَّادِفَةُ ﴾ أي: الرجفة الأخرى، وهي النفخة الثانية التي ردفت الأولى لبعث يوم القيامة[٢]، والتي تحيي كل شيء بإذن الله تعالى، كما قال ﷻ : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾(الزمر: ٦٨).

---

١) وهو قول ابن عباس، مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

٢) الطبري، أخرج بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾: النفخة الأولى. وقوله ﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾، يقول: النفخة الثانية.

وأخرج بسنده الحسن عن قتادة ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾، « هما: الصيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله ». والصحيح المسبور.

روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ». قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: « ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَىْءٌ إِلاَّ يَبْلَى، إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهْوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

وأخرج الترمذي بسنده عن الطُّفَيْلِ بن أُبَيِّ بن كَعْبٍ عَنْ أَبيه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إِذا ذهبَ ثُلُثا اللَّيْلِ قام، فقال: « يا أيُّها النَّاسُ اذكروا اللَّهَ اذكروا اللَّهَ جاءتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بـما فيه جاء الموتُ بـما فِيه » ... ، قال: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني.

٢ـ ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾: ترجف الأرض والجبال، كقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ ﴾[المزمل: ١٤]. وهي الزلزلة.

﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾، فهي ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾(الانشقاق: ١)، وقوله ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[الحاقة: ١٤][1].

٣ـ ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾: ترجف الأرض، و(الرَّادِفَةُ): السَّاعة[2].

---

١) الطبري وابن كثير عن مجاهد.

٢) الطبري عن ابن زيد.

﴿ قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ ﴾

﴿ قُلُوبٌ ﴾ أي: قلوب خَلْقٍ من خلقه ﴿يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴾، أي:

- خائفة من عظيم الهول النازل، وجفت مما عاينت يومئذ[١].
- قلقة، مضطربة[٢].
- وجلة[٣].
- زائلة عن أماكنها، كقوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ ﴾[٤].

﴿ أَبۡصَٰرُهَا ﴾ أي: أبصار أصحابها ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾، أي: ذليلة[٥] حقيرة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم من عظيم هول ذلك اليوم[٦]، كقوله: ﴿ خاشعين من الذل ﴾[٧].

---

١) الطبري، بسنده الحسن عن ابن عباس، وعن قتادة وابن زيد. وابن كثير.

٢) السمعاني، والبغوي.

٣) البغوي، عن مجاهد.

٤) البغوي، عن السُّدِّي.

٥) الطبري، والسمعاني، والبغوي وابن كثير.

٦) الطبري.

٧) البغوي.

﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ ﴾

ثمّ ذكر ﷻ أن هؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت يستبعدون ذلك لأمرين:

أ ـ لأنهم صاروا إلى القبور.

ب ـ لأنه تمزق أجسادهم، وتفتت عظامهم.

لذلك ينكرونه، و﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾، أي:

- الحياة. والمعنى: أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل مماتنا وهلاكنا ؟[1]
- الأرض المحفورة. والمعنى: أنبعث خلقا جديداً ؟[2]
- النار[3].

---

١) الطبري. أخرج بسنده الحسن عن ابن عباس والسدّي: ﴿ ٱلۡحَافِرَةِ ﴾ الحياة. ثمّ قال: « وهو من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء ». وابن كثير عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم.

٢) الطبري عن مجاهد قوله: ﴿ ٱلۡحَافِرَةِ ﴾: « الأرض، نبعث خلقا جديدا ». والصحيح المسبور، أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد قوله: ﴿ ٱلۡحَافِرَةِ ﴾: « الأرض، يقولون: أنبعث خلقا جديداً ؟ ».

٣) الطبري. نقل عن ابن زيد قوله: ﴿ ٱلۡحَافِرَةِ ﴾: النار. =

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ في كلمة ﴿نَّخِرَةً﴾ القراءة بوجهين:

الأول: (نَخِرَة)، وهي لقرّاء الحجاز والبصرة، أي: فانية بالية[١]، مرفوتة[٢].

الثاني: (نَاخِرَة)، وهي لقرّاء الكوفة، أي: مجوّفة تنخَر وتصوّت الرياح في جوفها إذا مرّت بها[٣].

ثمّ بين ﷻ أن هؤلاء المكذّبين بالبعث ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: تلك الرجعة أحياء بعد الممات ﴿إِذًا﴾ إن رددنا بعد الموت فهي ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي:

* رجعة خاسرة[٤] خائبة، لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت[٥].

* كاذبة، ليست بكائنة[٦].

= وقرأ قول الله ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، فقال: « ما أكثر أسماءها، هي النار، وهي الجحيم، وهي سَقَرُ، وهي جهنم، وهي الهاوية، وهي الحافرة، وهي لَظَى، وهي الحُطَمة ».

١) الطبري عن ابن عباس وقتادة.

٢) الطبري وآدم بن أبي إياس عن مجاهد. الصحيح المسبور.

٣) الطبري.

٤) الطبري عن قتادة. وعن ابن زيد قوله: « وأيّ كرّة أخسر منها، أُحيوا ثم صاروا إلى النار، فكانت كرّة سوء ».

٥) البغوي.

٦) السمعاني عن الحسن.

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾ يعني: النفخة الأخيرة[١] ﴿ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ أي: صيحة واحدة[٢]، ونَفخة ينفخها إسرافيل بأمر الله ﷻ في الصور نفخة البعث[٣].

﴿ فَإِذَا ﴾ يعني: فجأة ﴿ هُم ﴾ أي: هؤلاء المكذبون بالبعث المتعجبون من إحياء الله إياهم من بعد مماتهم ﴿ بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ يعني:

* بظهر الأرض[٤]، قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون[٥]، كما قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾[النحل: ٧٧].

* بالمكان المستوي[٦].

---

١) ابن كثير عن أبي مالك والربيع.

٢) الطبري، وآدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد. الصحيح المسبور.

٣) البغوي وابن كثير.

٤) الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة، والحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، وابن زيد، وأخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: « فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض»، والساهرة: الأرض. الصحيح المسبور.

٥) ابن كثير.

٦) الطبري عن مجاهد.

قال سهل بن سعد الساعدي: ﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ قال: « أرض بيضاء، عفراء، خالية، كالخبزة النقي »[1]. كقوله عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[2].

* أو غير ذلك[3].

* * *

---

١) نقله ابن أبي حاتم.

٢) نقله ابن كثير عن الربيع بن أنس.

٣) نقل الطبري عن آخرين أنها:

* اسم مكان بعينه كأرض بالشام.

* أو جبل معين.

* أو جهنم؛ وإنما قيل: لها ساهرة لأنهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم. وفتح القدير.

الدرس الثالث

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦﴾

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه ابتعث رسوله موسى عليه السلام إلى فرعون، وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر[1]. وهذه القصة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ عن تكذيب قومه، وأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان قبلهم ممن هو أقوى منهم[2].

ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ بن عمران عليه السلام، أي:

ـ هل سمعت خبره ؟ على تقدير: أن هذا ما نزل عليك في شأنهما.

ـ أو قد أتاك خبره[3]، أي: قد سمعت من قصصهما فتعرف به حديثهما[4].

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: حين ناجاه ربه ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المطهر المبارك[5] ﴿طُوًى﴾: هو اسم الوادي[6]. قال ابن كثير: « على الصحيح ».

---

١) ابن كثير.

٢) فتح القدير.

٣) السمعاني، والبغوي.

٤) فتح القدير.

٥) الطبري، وابن كثير.

٦) أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد « طوى: اسم الوادي ». =

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ ﴾

ناداه ربه وكلمه نداءاً أن ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾، أي: تجاوز حدّه في العدوان والتكبر على ربه[١]، والكفر به[٢]، والتمرّد، والعتوّ[٣].

﴿ فَقُلۡ ﴾ له ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾، أي:

أ ـ أن تتطهَّر من دنس الكفر، وتؤمِن بربك؟ فتكون زاكيا مؤمنا[٤].

ب ـ أن تقول: لا إله إلا الله[٥].

ج ـ أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكّى به، أي: تسلم وتطيع[٦].

= الصحيح المسبور. والطبري عن مجاهد وابن زيد وقتادة. ونقل فيه قولين آخرين، وهما:

* طأ الأرض بقدمك حافيا. قول آخر لمجاهد.

* بثت فيه البركة والتقديس مرَّتين. عن الحسن.

١) الطبري.

٢) البغوي.

٣) ابن كثير.

٤) الطبري. ونقل عن ابن زيد قوله: « إلى أن تُسلم. قال: والتزكي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ قال: من أسلم ». والسمعاني.

٥) الطبري عن عكرمة.

٦) ابن كثير.

﴿ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ ﴾

﴿ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾، أي:

* هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضي ربك، وذلك الدين القيم[١].

* أدعوك وأدلك إلى عبادة ربك وتوحيده[٢]، ﴿فَتَخۡشَىٰ﴾، أي: فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه، واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه[٣]. فيصير قلبك خاضعا له مطيعا بعدما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير[٤].

﴿ فَأَرَىٰهُ ﴾ أي: فأظهر موسى عليه السلام لفرعونَ مع هذه الدعوة الحق ﴿ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾، يعني: الحجة القوية، والدليل الواضح على صدق ما جاءه به من عند الله وأنه رسول الله[٥]، فكانت تلك الآية: يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين، وعصاه إذ تحوّلت ثعبانا مبينا[٦].

---

١) الطبري.

٢) البغوي، وابن كثير.

٣) الطبري.

٤) ابن كثير.

٥) المصدر نفسه.

٦) الطبري عن الحسن ومجاهد وقتادة، والبغوي. وأخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة ﴿ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: عصاه ويده. الصحيح المسبور.

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ فَكَذَّبَ ﴾ فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة ﴿ وَعَصَىٰ ﴾، أي: وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه، وخَشيته إياه[١]. قال ابن كثير: « أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة. وحاصله: أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، وعِلْمُه بأنّ ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به؛ لأن المعرفة علم القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحق والخضوع له ». ﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ ﴾ أي: ثم ولَّى مُعرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه، وخشيته وتوحيده[٢] ﴿ يَسۡعَىٰ ﴾ أي:

* يعمل في معصية الله، وفيما يُسخطه عليه[٣] من إبطال أمر موسى[٤].

* أي: في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى، عليه السلام، من المعجزة الباهرة[٥].

---

١) الطبري. وأخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴾: يسعى بالفساد، كقوله ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا ﴾.

٢) الطبري.

٣) الطبري.

٤) السمعاني.

٥) ابن كثير.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ فَحَشَرَ ﴾ أي: فجمع قومه وأتباعه[1] من كل جهة[2] ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ فيهم لما اجتمعوا ﴿ فَقَالَ ﴾ لهم ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، أي: لا رب فوقي، وكلّ ربّ دوني[3]. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها[4].

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ ﴾ فعاقبة الله ﴿ نَكَالَ ﴾ أي: عقوبة ﴿ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾، فيه قولان:

الأول: أي: الآخرة من كلمتيه وهي: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾. ﴿ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ أي: قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ بأربعين سنة.

الثاني: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، عجَّل الله له الغرق مع ما أعدّ له من العذاب في الآخرة[5].

---

١) الطبري.

٢) السمعاني، قال: الحشر هو الجمع من كل جهة.

٣) الطبري.

٤) البغوي.

٥) الطبري، بسنده الصحيح عن قتادة: ﴿ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ عقوبة الدنيا والآخرة.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ إن في العقوبة التي عاقب الله بها فرعون في عاجل الدنيا، وفي أخذه إياه نكال الآخرة والأولى ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ لعظة ومعتبرا ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ لمن يخاف الله ويخشى عقابه، ويتعظ وينزجر[1].

* * *

---

١) الطبري.

الدرس الرابع

﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه[1]:

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ يعني: أخلقكم أيها الناس بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾؟ وهما في قدرة الله واحد[2]. ثم وصف خلق السماء فقال: ﴿ بَنَىٰهَا ﴾، أي: رفعها ربكم فجعلها للأرض سقفا؛ فإن من بنى السماء فرفعها سقفا هَيِّن عليه خلقكم وإحياؤكم بعد مماتكم وليس ذلك بأشدّ من خلق السماء.

تنبيه: في سياق قوله ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ ثلاثة وجوه:

١ـ أم السماء التي بناها ؟

٢ـ أم السماء ؟ بناها ربكم[3].

٣ـ بل السماء[4].

---

١) ابن كثير.

٢) البغوي.

٣) الطبري.

٤) ابن كثير.

﴿بَنَىٰهَا﴾ فسره بقوله: ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾ أي: رفع بنيان السماء بغير عمد[1]، فجعلها عالية البناء، بعيدة الفناء. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي:

- لا شيء أرفع من شيء، ولا شيء أخفض من شيء، ولكن جميعها مستوي الارتفاع والامتداد[2].
- أو هو في معنى قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾، أي: من شقوق وفروج[3].

استدل عليهم بهذه الآيات في قدرته على البعث، والمعنى: بأن إعادتكم خلقا جديدا أشد أم خلق السماء ؟ وقد جاء الجواب مصرحاً بأن السماء أشد خلقاً منهم في قوله تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(غافر: ٥٧).

وبين ضعف الإنسان في قوله في نفس المعنى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾[4].

---

١) الطبري أخرج بسنده الحسن عن ابن عباس: ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ قال: بنيانها. وأخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد: رفع بنيانها بغير عمد. الصحيح المسبور.

٢) الطبري.

٣) السمعاني.

٤) قاله الشيخ عطية بن سالم في تكملته لأضواء البيان. الصحيح المسبور.

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾

﴿وَأَغۡطَشَ﴾ أي: أظلم[1] ﴿لَيۡلَهَا﴾، فجعله مظلما أسود حالكا[2].

فائدة: أضاف الليل إلى السماء:

- لأن الليل غروب الشمس، وغروبها وطلوعها في السماء[3].
- أو لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء[4].

﴿وَأَخۡرَجَ﴾ أي: أبرز وأظهر ونوّر[5] ﴿ضُحَىٰهَا﴾، أي: ضياءها ونهارها[6]، المعنى: أنار نهار السماء مضيئا مشرقا نيرا واضحا[7].

---

١) الطبري، وأخرج بسنده الحسن عن ابن عباس: (وأغطش ليلها) : أظلم ليلها. وقال ابن كثير: « وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وجماعة كثيرون ».

٢) ابن كثير.

٣) الطبري. وقال السمعاني: « وأضاف الظلمة والضوء إلى السماء لأنهما يظهران من جانب السماء عند طلوع الشمس وغروبها ».

٤) البغوي.

٥) الطبري. روى عن مجاهد: نورها، وعن قتادة: نور ضياءها.

٦) أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أخرج نورها. الصحيح المسبور.

٧) ابن كثير.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾، أي: بعد خَلق السماء[1].

﴿دَحَىٰهَآ﴾، أي:

١. بسطها[2].

---

١) الطبري، أخرج بسنده الحسن عن ابن عباس ﷺ : « ذكر خلق الأرض قبل السماء ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ».

وقيل: (أي: مع ذلك). يعني: خُلِقت الأرض ودُحِيت قبل السماء، بدليل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، كقوله عز وجل: ﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾(القلم:١٣) أي مع ذلك. نقل الطبري ذلك بسنده عن مجاهد والسدّي.

رجح الإمام ابن جرير الأول بقوله: « والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسوّاهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالَها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ... ». وكذا رجحه ابن كثير بقوله: « وهذا معنى قول ابن عباس، وغير واحد، واختاره ابن جرير ».

٢) الطبري، أخرج بسنده الحسن عن قتادة ﴿دَحَىٰهَآ﴾ أي: بسطها. ونقل عن السدّي أيضا.

﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾

---

٢. شقَّها[١].

٣. فسره ما بعده[٢]، وهو قوله ﷻ : ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا ﴾ أي: فجَّر فيها الأنهار ﴿ وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ أنبت نَباتها[٣]. ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴾ ،أي: أثبتها في الأرض[٤]، وقررها وأكدها في أماكنها[٥].

---

١) الطبري. نقل عن ابن زيد قال: ﴿دَحَىٰهَآ﴾، أي: حرثها شقَّها، بدليل أنه عز وجل قال بعد ذلك: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)، وقرأ: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقّٗا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبّٗا ...﴾(عبس: ٢٦، ٢٧)، وقال: حين شقَّها أنْبتَ هذا منها.

٢) ابن كثير. وقال: « بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ». وأخذ هذا المعنى عما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: « ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام ».

٣) الطبري، نقله عن الضحاك. والسمعاني، وقال: أي: أخرج من الأرض الماء لحياة النفوس، والمرعى للأنعام.

٤) الطبري. أخرج بسنده الحسن عن قتادة ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴾ ، أي: أثبتها لا تميد بأهلها.

٥) ابن كثير.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾

﴿ مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾، أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل[1].

* * *

١) ابن كثير.

الدرس الخامس

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾، في معنى ﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾، قولان:

أ. هي الداهية العظيمة[١] التي تطم على كلّ هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها[٢]. وهي كل ما لا يستطاع ولا يطاق[٣].

ب. يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة[٤]، فهي اسم من أسماء يوم القيامة[٥]، وسميت بذلك؛ لأنها تطم وتفوق على كل أمر هائل مفظع[٦]، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾(القمر: ٤٦).

---

١) السمعاني.

٢) الطبري.

٣) السمعاني.

٤) البغوي.

٥) الطبري. أخرج بسنده الحسن عن ابن عباس: ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾: من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده. الصحيح المسبور.

٦) السمعاني وابن كثير.

﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ ﴾

﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله وسعيه: خيره وشره[1]، كما قال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾.

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ ﴾ أي: وأُظهِرتِ، وكُشِفت عنها الغطاء[2] ﴿ لِمَن يَرَىٰ ﴾، لمن يراها من الناظرين[3]، فرأوها عيانا[4].

فائدة: الحكمة في إظهار الجحيم مشاهدة الكفار مكان عقوبتهم، وليعلم المؤمنون من أي عذاب نجوا[5].

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾، أي: عتا على ربه وتمرد، وعصاه، واستكبر عن عبادته[6].

---

١) الطبري وابن كثير.

٢) نقل البغوي عن مقاتل قوله: « يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق ».

٣) الطبري.

٤) ابن كثير.

٥) السمعاني.

٦) الطبري، وكذا آدم بن أبي إياس عن مجاهد بسنده الصحيح ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾: يعني: من عصى. الصحيح المسبور.

﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾

﴿ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: قدّم متاع الحياة الدنيا على أمر دينه[١] وكرامة الآخرة، وما أعدّ الله فيها لأوليائه، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك العمل للآخرة[٢].

﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ أي: فإن مصيره إلى الجحيم، وهي منزله ومأواه، وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم[٣].

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾،أي: خاف القيام بين يدي الله عز وجل[٤]، وخاف مسألة الله إياه وحكمه فيه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه[٥].

---

١) ابن كثير.

٢) الطبري.

٣) ابن كثير.

٤) المصدر نفسه.

٥) الطبري.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾

﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ ونهى نفسه وزجرها عن المحارم التي تشتهيها وتهواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، أي: فيما يخالف الشرع، وردها إلى طاعة مولاها[1].

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ أي: منقلبه ومصيره ومرجِعه إلى الجنة الفيحاء[2].

* * *

---

١) الطبري، والبغوي، والسمعاني، وابن كثير.

٢) ابن كثير.

الدرس السادس

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾

يقول ﷻ لنبيه محمد ﷺ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾، أي: هؤلاء المكذّبون بالبعث ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ التي تبعث فيها الموتى من قبورهم ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾، أي: متى قيامها وظهورها(١). ومرساها: منتهاها.

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾، أي: مالك ومعرفة وقت قيام الساعة(٢)، وفي أيّ شيء أنت من ذكرها والبحث عن شأنها؟(٣) فليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق(٤)، وفيه زجرٌ إياه عن السؤال(٥).

---

١) الطبري.

٢) السمعاني. وأخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾: من ذكر الساعة. الصحيح المسبور.

٣) الطبري. ثم روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: « لم يزل النبيّ ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عزّ وجل: ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾ » وهو صحيح.

٤) ابن كثير.

٥) السمعاني.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾، أي: إلى ربك منتهى علم الساعة[1]، لا يعلم وقت قيامها غيره، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، كما قال ﷻ: ﴿ ... لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2]. فحق على كل من يسأل عنها، يقول: الله أعلم، فيرد علمها إلى الله.

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾، أي: إنما أنت رسول تنذر بعذاب يوم القيامة من يخشى القيامة[3]، ولم تكلف علم وقت قيامها، يقول: فدع ما لم تكلف علمَه واعمل بما أمرت به من الإنذار[4].

والمعنى: إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده، واتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك[5].

---

١) الطبري.

٢) ابن كثير، والآية من سورة الأعراف: ١٨٧.

٣) السمعاني.

٤) الطبري.

٥) ابن كثير.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

فائدة: اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ على قولين:

* فكان أبو جعفر القاريء وابن محيصن يقرءان (مُنْذِرٌ) بالتنوين.

* وقرأ سائر قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة بغير تنوين، بإضافة (مُنْذِرُ) إلى (من)[1].

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، أي: كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحى تلك العشية[2]. فإذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم[3].

ويقصد بهما: أول النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها، وآخر النهار من العصر إلى غروبها[4].

---

١) الطبري.

٢) الطبري. ونقل عن قتادة قوله: « وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة ».

٣) ابن كثير.

٤) السمعاني.